Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكل شيء حولها من آثار المعرفة الإنسانية يكبر ويشيخ وقد يبلى ويفنى، أما الشعر فحيّ بل شاب شبابًا نادرا أخّاذا. وخير ما يصور ذلك شعر ابن سينا وعلمه بالطب؛ فقد ألف فى الطب كتابه «القانون» المشهور فيه والذى كان يدرس فى الجامعات الأوربية حتى القرن السابع عشر؛ فإنه أصبح اليوم فى الطب متخلّفًا بالقياس إلى ما حدث فى هذا العلم من تطور هائل، ولذلك لم يعد يُدْرَسُ فى أى جامعة أوربية. ولو كان ابن سينا حَيًّا بيننا اليوم لعدَّل صفحات كثيرة منه ولأضاف إليه صفحات جديدة كثيرة وربما أعاد كتابته جملة، بخلاف أشعاره ونذكر منها قصيدته المشهورة عن النفس التى وصف فيها أدوارها من هبوطها من عالم الغيب إلى صاحبها فى عالم الشهادة ثم صعودها إلى عالمها السماوى، وهو يستهلّها بقوله:

هبطتْ إليك من المحلِّ الأرْفعِ وَرْقـاءُ ذاتُ تدلُّـلٍ وَتَمنُّـعِ

وقد سمى النفس باسم الورقاء أى الحمامة ويقول إنها كانت فى المحل السماوى الأسمى، ويريد به عالم العقول المجردة، وهبطت إلى الحضيض الأرضى الأدنى، لتعلم ما لم تكن تعلم فى عالم الشهادة الجديد. ويصوّر هذا الدور وكأنها فيه برق تألق حينًا ثم انطوى بل كأنه لم يتألق ولم يلمع، ثم يصف صعودها إلى السماء ومفارقتها للبدن. ويقول إنها دخلته كارهة، إذ لم تكن تريد الهبوط من عالمها العلوىّ، حتى إذا عاشت فيه أنست إليه فلما حان وقت فراقها خرجت عنه كارهة وقد كُشف عنها الغطاء. ولعل فى ذلك ما يكفى لمعرفة هذه القصيدة الرائعة التى صوَّر فيها ابن سينا قصة النفس الإنسانية، ولو أنَّه كان حيًّا بيننا اليوم ما بدَّل كلمة منها ولا نقّح لفظة، وهو معنى ما نقوله من أن الشعر جديد دائما، شاب دائما، يخفق بحيوية دافقة.

وعلى شاكلة هذه القصيدة الزاخرة بحيوية الشباب قصيدة الحسين بن الشبل البغدادى التى نظمها فى الكون وألغازه المحيّرة والحياة الإنسانية وما يجرى فيها من أسراب الخير والشر، وقد افتتحها بقوله:

بـربِّـك أيُّهـا الفَلكُ المُـدَارُ أقَصْدٌ ذا المسيرُ أمِ اضطرارُ